

الدرس 4: الأنظمة الكليانية في أوروبا

تمهيد إشكالي

خرجت إيطاليا وألمانيا من الحرب العالمية الأولى مثقلتين بالأزمات، وفيهما ديمقراطيتان فتِيّتان لم تنجحا في احتواء الصراع الاجتماعي والاضطراب السياسي. فكيف مهّدت تسويات ما بعد الحرب والأزمات الاقتصادية والاجتماعية لصعود الفاشية والنازية؟ وكيف استولى موسوليني وهتلر على الحكم، وما السمات التي جعلت النظامين كليانيين، مع اختلاف خصوصية كل تجربة؟

1. من أزمة ما بعد الحرب إلى صعود الفاشية والنازية

سياق مشترك، ومساران مختلفان

أضعفت الحرب العالمية الأولى الثقة في الأنظمة البرلمانية، وخلّفت خسائر بشرية ومادية، وتضخماً وبطالة واضطراباً في الإنتاج. وفي إيطاليا زاد الشعور بأن مكاسب البلاد من الحرب لم توازِ تضحياتها، وأثارت تسوية السلم سنة **1919** استياء قومياً. ترافقت هذه الأزمة مع موجة إضرابات واحتلال مصانع وأراضٍ في **1919–1920**؛ فخشي أصحاب الملكية والطبقات الوسطى من الثورة، فيما عجزت الحكومات الليبرالية عن فرض الاستقرار أو تقديم حل مقنع.

في هذا المناخ تأسست الحركة الفاشية في إيطاليا سنة **1919** حول **بينيتو موسوليني**. اعتمد الفاشيون على فرق مسلحة عُرفت بـ**القمصان السود**، هاجمت الاشتراكيين والنقابات والصحف المعارضة، وقدمت نفسها حاميةً للنظام والأمة. استثمروا الخوف من اليسار، وسخط القوميين، وتردد الدولة، كما استفادوا من دعم قطاعات نافذة. وفي **أكتوبر 1922** نظّموا «المسيرة إلى روما»؛ فكلّف الملك **فيكتور إيمانويل الثالث** موسوليني بتشكيل الحكومة. لم يكن ذلك انتقالاً ديمقراطياً عادياً: فقد مهد الضغط المسلح والتساهل الملكي لتفكيك الحريات من داخل مؤسسات الدولة.

أما ألمانيا، فقد أضعفتها هزيمتها وتسوية **فرساي**، ثم أزمات جمهورية فايمار والاستقطاب بين اليمين واليسار. وحوّلت الأزمة الاقتصادية العالمية، التي بدأت سنة **1929**، البطالة وانعدام الأمن إلى فرصة للنازيين لتوسيع التأييد. حصل الحزب النازي في انتخابات **1932** على نحو 14 مليون صوت و230 مقعداً، مستفيداً من وعود العمل والنظام ومواجهة الشيوعية. وفي **30 جانفي 1933** عيّن الرئيس **باول فون هيندنبورغ أدولف هتلر** مستشاراً. وهكذا وصل الحزب إلى الحكم عبر تعيين دستوري في سياق أزمة، ثم عمد إلى تصفية التعددية والاستئثار بالسلطة.

نقطة تركيز: لم تُنتج الأزمات الأنظمة الكليانية آلياً؛ بل أتاحها اجتماع الاستقطاب والخوف من الثورة وضعف الحكومات، واستثمار الدعاية والعنف، وقبول قوى محافظة بتسليم السلطة للمتطرفين أملاً في احتوائهم.

2. بناء الحكم الكلياني

تقوم **الكليانية** على إخضاع السياسة والمجتمع والفرد لمشروع الحزب والدولة، لا على مجرد قوة حاكم مستبد. سعى النظامان إلى جعل الحزب الواحد والقائد محور الحياة العامة؛ ألغيا المنافسة السياسية، وضيّقا على الخصوم، وأخضعا النقابات والصحافة والتعليم والمنظمات الاجتماعية للمراقبة. استُخدمت أجهزة الدولة والشرطة والعنف لإرهاب المعارضين، بينما قدّمت الدعاية صورة القائد المنقذ، وعملت على تعبئة الجماهير في التجمعات والاحتفالات والرموز.

في إيطاليا، حوّل موسوليني التعيين إلى حكم ديكتاتوري تدريجي، وأضعف الأحزاب المعارضة والنقابات المستقلة، وربط المجتمع بالدولة الفاشية. وفي ألمانيا جعل هتلر الدولة أداة لتنفيذ العقيدة النازية؛ فانتشرت الدعاية والرقابة، وأُحرقت كتب في برلين سنة **1933**، ودُمج الأطفال والشباب في تنظيمات حزبية متدرجة منذ سن مبكرة، مع تحويل العمل التطوعي والتلقين إلى طاعة منظمة. ولم يكن الهدف ضبط السلوك وحده، بل تشكيل الولاء والتفكير والهوية السياسية.

اشترك النظامان في تمجيد الأمة والقوة والطاعة والزعيم، ورفض الليبرالية والاشتراكية، وتفضيل الحزب الواحد والتعبئة. لكن النازية تميزت بمركزية العنصرية والتفوق العرقي ومعاداة السامية في تصورها للمجتمع، فيما برز في الفاشية الإيطالية تمجيد الدولة والأمة والانضباط القومي. ينبغي عدم اختزال الفروق أو اعتبار التجربتين متطابقتين.

3. اقتصاد موجّه للمجتمع والحرب

لم تقتصر تدخلات الدولة على ضبط السياسة. سعى النظامان إلى استعادة الإنتاج والحد من البطالة، لكنهما وجّها الاقتصاد لخدمة القوة العسكرية والاكتفاء الذاتي والاستعداد للحرب. دعمت إيطاليا الأشغال العامة واستصلاح الأراضي والحماية الاقتصادية، وربطت النشاط بالنظام الفاشي. وفي ألمانيا اقترنت معالجة البطالة بتوسيع الأشغال والإنتاج والتسلح. حسّنت هذه التدابير فرص العمل والاستقرار الظاهري، لكنها لم تُلغِ التفاوت أو تجعل الاقتصاد مستقلاً عن أهداف التوسع العسكري. وهكذا كانت «معالجة الأزمة» أداة لتعزيز الحكم، وتهيئة المجتمع للحرب، لا بديلاً عن القمع.

استدلال سببي: أدت البطالة والخوف من الاضطراب إلى قبول قطاعات واسعة بخطاب النظام والانضباط؛ واستخدمت السلطة التشغيل والتعبئة لتوسيع قاعدتها، ثم وظّفت الموارد في التسلح. لذلك ارتبط التعافي الذي أعلنه النظامان بتقييد الحرية وبناء القوة العسكرية.

4. خلاصة تركيبية

كان صعود الأنظمة الكليانية نتيجة تفاعل أزمة ما بعد الحرب، والاضطراب الاجتماعي، وضعف الديمقراطيات، وخوف قطاعات اجتماعية من الثورة، مع قدرة الحركات المتطرفة على توظيف القومية والدعاية والعنف. انتقلت الفاشية الإيطالية إلى الحكم بعد المسيرة إلى روما سنة 1922، ووصل هتلر إلى المستشارية سنة 1933، ثم أُعيد تشكيل الدولة والمجتمع حول القائد والحزب. وجمع النظامين حكم الحزب الواحد، وإخضاع المجتمع، وتوجيه الاقتصاد والتعبئة، لكن خصوصية النازية العنصرية تظل فارقاً أساسياً. وقد أفضى توجيه القوة الاقتصادية والسياسية نحو التسلح والتوسع إلى جعل أوروبا أكثر استعداداً للصدام.

تمرين 1: موضوع مقالي

الموضوع: «فسّر ظروف صعود الفاشية والنازية في الفترة بين الحربين، ثم بيّن أوجه التشابه والاختلاف في بناء النظامين الكليانيين.»

إصلاح نموذجي ومنهجية المقال

التقديم: يؤطر الموضوع بين الحربين العالميتين، ويعرّف الكليانية بأنها إخضاع السياسة والمجتمع والفرد لمشروع حزب واحد وقائد. وتُصاغ الإشكالية: كيف أفضت الأزمات إلى صعود النظامين، وما خصائصهما المشتركة والفروق بينهما؟ تُعلن الخطة: الظروف والوصول إلى الحكم، ثم خصائص النظامين.

الجوهر: أولاً، تذكر آثار الحرب وأزمة السلم سنة 1919 في إيطاليا، والإضرابات واحتلال المصانع والأراضي في 1919–1920، والخوف من الثورة وعجز الحكومات. تقابلها ألمانيا المهزومة، واستياء فرساي، وأزمة فايمار، وتفاقم البطالة بعد 1929. ثانياً، تفسّر توظيف موسوليني القمصان السود والعنف، ثم المسيرة إلى روما في أكتوبر 1922 وتكليف الملك له؛ وفي ألمانيا تذكر نتائج النازيين الانتخابية سنة 1932 وتعيين هتلر مستشاراً في 30 جانفي 1933. ثالثاً، تقارن الحزب الواحد والقائد والدعاية والرقابة والعنف وإخضاع النقابات والتعليم والتعبئة الاقتصادية والعسكرية. وتوضح أن النازية جعلت العنصرية والتفوق العرقي محوراً مركزياً بخلاف تركيز الفاشية الإيطالية على الدولة والأمة.

الخاتمة: تستنتج أن الأزمات لا تفسر وحدها الصعود، بل تفاعلت مع قرارات النخب والعنف السياسي واستغلال الخوف. ويُستحسن ربط التسلح والتوسع بتدهور السلم الأوروبي دون الخروج عن نطاق السؤال.

معيار الاستدلال: لا تكتفِ بسرد التواريخ؛ اربط كل معلومة بوظيفتها: أزمة 1929 وسعت التأييد النازي، والعنف الفاشي أضعف خصومه، ثم أتاح دخول الحكم تحويل الضغط إلى دولة ديكتاتورية.

تمرين 2: تحليل وثيقة تركيبية

وثيقة تعليمية منشأة لهذا التمرين، وليست اقتباساً تاريخياً: «حين يتفاقم الخوف من البطالة والاضطراب، قد تعد حركة سياسية باستعادة النظام والعمل واسترجاع مكانة الأمة. وإذا جمعت هذه الحركة بين دعاية تعبّئ الجمهور، وتنظيم شبابي، وعنف ضد الخصوم، ثم استولت على مؤسسات الحكم، أمكنها إخضاع النقابات والتعليم والإعلام. وقد توجّه الدولة الإنتاج والأشغال إلى تقوية الجيش؛ فيبدو التحسن الاقتصادي جزءاً من مشروع السيطرة والاستعداد للصراع.»

الأسئلة: 1) عرّف طبيعة الوثيقة وحدّد فكرتها المركزية. 2) استخرج ثلاثة أساليب للسيطرة، واشرح أثر كل منها. 3) اربط مضمونها بحالتين من الدرس، مستشهداً بوقائع وتواريخ. 4) هل تكفي السياسة الاقتصادية وحدها لتعريف النظام الكلياني؟ علّل.

الإصلاح النموذجي

1) نص تفسيري تعليمي معاصر صيغ لأغراض التمرين، وليس مصدراً تاريخياً منسوباً إلى شاهد أو مسؤول. فكرته أن الأنظمة الكليانية تستثمر الأزمات، ثم تمزج التعبئة والدعاية والعنف وإخضاع المؤسسات، وتربط الاقتصاد بالقوة العسكرية. 2) **الدعاية** تصوغ صورة المنقذ وتستثمر الخوف؛ **التنظيم الشبابي** يغرس الولاء والطاعة؛ **العنف** يردع المنافسين؛ وإخضاع النقابات والتعليم والإعلام يمنع وجود مؤسسات مستقلة. يكفي تحديد ثلاثة مع شرح العلاقة بين الوسيلة والنتيجة، لا مجرد نسخ كلمات الوثيقة. 3) إيطالياً: أفضى توظيف القمصان السود والضغط إلى المسيرة على روما في أكتوبر 1922 وتكليف موسوليني. ألمانياً: استفاد النازيون من أزمة ما بعد 1929، وحصلوا على 230 مقعداً سنة 1932، ثم عُيّن هتلر مستشاراً في 30 جانفي 1933؛ وأُخضع المجتمع للدعاية والتنظيم. يدلّ ذلك على أن الآليات العامة تشابهت مع اختلاف السياق. 4) لا. فالاقتصاد الموجّه والتسلح مكوّن من مكونات النظام، لكنه لا يفسر وحده الحزب الواحد، وعبادة القائد، والقمع، والدعاية، ومراقبة المجتمع. يُقاس التحليل بضم الوسائل السياسية والاجتماعية والاقتصادية وربطها بهدف السيطرة الشاملة.

منهجية الوثيقة: ابدأ بالنوع والسياق اللذين تسمح بهما الوثيقة فقط؛ لا تخترع مؤلفاً أو تاريخاً. استخرج الفكرة، ثم فسّرها من الدرس بدليل مؤرخ، وميّز بين كلام الوثيقة ومعرفتك التاريخية.

نصائح امتحانية عملية

- ثبّت السلسلة الزمنية: **1919** تأسيس الحركة الفاشية وتسوية السلم؛ **1919–1920** اضطرابات اجتماعية بإيطاليا؛ **أكتوبر 1922** المسيرة إلى روما؛ **1929** الأزمة العالمية؛ **1932** تقدم انتخابي نازي؛ **30 جانفي 1933** تعيين هتلر مستشاراً.
- لا تخلط بين الوصول إلى الحكومة والاستئثار الكامل بالدولة، ولا تقل إن المسيرة إلى روما وحدها كانت انقلاباً ناجحاً دون الإشارة إلى قرار الملك.
- في المقارنة، استخدم محوراً واحداً في كل مرة: الظروف، الطريق إلى الحكم، أدوات السيطرة، الاقتصاد، ثم أضف الفروق.
- المقال يحتاج إشكالية وخطة واضحة وفقرات مترابطة وخاتمة تجيب؛ وتحليل الوثيقة يحتاج قرائن من النص ومعارف مؤرخة.

كلمات مفتاحية

- **الكليانية:** نظام يسعى إلى إخضاع مجالات الحياة العامة والفردية لمشروع الحزب والدولة، بأدوات سياسية واجتماعية واقتصادية.
- **الفاشية:** حركة ونظام قومي سلطوي إيطالي ارتبط بموسوليني، وتمجيد الدولة والانضباط واستخدام العنف ضد الخصوم.
- **النازية:** الحركة الألمانية بقيادة هتلر؛ اشتركت مع الفاشية في الدكتاتورية والتعبئة، وتميزت بمركزية العنصرية والتفوق العرقي.
- **القمصان السود:** فرق مسلحة فاشية استخدمت العنف ضد خصوم موسوليني.
- **المسيرة إلى روما:** تحرك فاشي في أكتوبر 1922 ضغط على الحكم، أعقبه تكليف الملك موسوليني بتشكيل الحكومة.
- **الدعاية:** توجيه الرسائل والرموز لتعبئة الجمهور وصناعة الولاء وتهميش الرأي المعارض.

ملخص مراجعة سريع

الحرب وتسوية السلم والأزمات الاجتماعية والاقتصادية أضعفت الديمقراطيات ووسعت الخوف من الثورة. استغل موسوليني هذا المناخ، ودخل الحكم بعد مسيرة روما وتكليف الملك له سنة 1922؛ ووصل هتلر إلى المستشارية في 30 جانفي 1933 بعد توسع انتخابي نازي وأزمة اقتصادية. بنى النظامان سلطة الحزب الواحد والقائد، وقمعا المعارضة وأخضعا المجتمع بالدعاية والتنظيم والرقابة والعنف، ووجها الاقتصاد نحو الأشغال والتسلح. التشابه في أدوات السيطرة لا يلغي خصوصية النازية العنصرية.

المصدر: كتاب التاريخ للسنة الرابعة ثانوي، شعبة الآداب والاقتصاد والتصرف، الدرس 4 «الأنظمة الكليانية في أوروبا»، الصفحات المطبوعة **60–74** (المتن 60–72، والتقويم والمراجعة 73–74).



مشهد تاريخي مُعاد تمثيله بصرياً لأغراض تعليمية، وليس تسجيلاً فوتوغرافياً أصلياً.



إعادة تمثيل تاريخية تعليمية مولّدة للسياق، وليست صورة أرشيفية.